﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

[الزمر: 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد تخصيص البشارة بالمُحسنين عُلِمَ أنَّ غَيْرَهم قد حُكِمَ بشَقاوتِه

لَمّا خَصَّ اللّه سُبحانَه البِشارةَ بالمُحسنينَ عُلِمَ أنَّ غَيْرَهم قد حُكِمَ بشَقاوتِه، وكان ﷺ - لِما جُبِلَ عليه مِن عَظيمِ الرَّحمةِ ومَزيدِ الشَّفَقةِ - جَديرًا بالأسَفِ على مَن أعرَضَ؛ وقد دلَّ على أسَفِه عليهم بقَولِه: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾، وهذا تسليةٌ وتوطينٌ للنَّبيّ ﷺ على الصَّبرِ وعلى التّسليمِ لقضاءِ اللّه وقدره، وتعريفُه بسنّةِ الهداية والإضلال؛ فمن حقّ عليه كلمةُ العذاب فإنّ محمَّدًا ﷺ لا يستطيعُ هدايته.

كما أنّ هذه الآيةَ تكملةٌ للأسئلةِ التي طرحتها سورةُ الزُّمر بشكلٍ عامٍّ عندما قال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: 9]؛ أي: هل يستوي هذا مع من هو غافلٌ لاهٍ كافرٌ لا يحذرُ الآخرة ولا يرجو رحمةَ اللّه؟!

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَقَّ﴾: (حقّ) أصل يدلُّ على إحكامِ الشَّيءِ وصِحَّتِه[1]، يُقال: حَقَّ الشَّيْءُ، يَحِقُّ، حَقًّا: إذا ثَبَتَ ولَزِمَ[2]، ويأتي الحَقُّ بمعنى الصَّحيحِ، وضِدُّهُ: الباطِلُ[3]، وتحقَّقَ الأمرُ: إذا صَحَّ، ومعنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِ﴾ في الآية: وجبتْ عليه كلمةُ العذاب[4]، وتحقّقتْ في الواقع[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (حق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 275.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 369.

2) ﴿كَلِمَةُ﴾: الكلمةُ: الواحدة مِنَ الكَلِم والكَلام، كلَّمته تكليمًا، وتكلَّمتُ تكلُّمًا، وذكر أبو زيدٍ أنَّ العربَ تقول: الرَّجلان لا يَتَكالَمانِ، في معنى لا يتكلَّمان[1]، وأصلُ اشتقاقِ الكلام مِنَ الكَلِم، وهو التَّأثير المُدرَكُ بإحدى الحاسَّتين، فالكلامُ: مُدرَكٌ بحاسَّة السَّمع، والكَلْمُ: بحاسَّة البَصَر[2]، وكَلَمتُه: جرحتُه جِراحةً بانَ تأثيرُها[3]، والكَلِمَةُ تَقَعُ على الحرف الواحد مِن حروفِ الهجاءِ، وتقعُ على لفظةٍ مُؤلَّفةٍ مِن جماعةِ حُروفٍ ذاتِ مَعْنًى، وتقعُ على قَصيدةٍ بكمالِها وخُطبةٍ بأسرها[4]، والمقصودُ بـ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ في الآية: كلامُ وعيدِ اللّه إيّاهم بالعذاب في الآخرة[5]، على من قد سبقَ له في علمِ اللّهِ أنّه من أهلِ النار[6].

3) ﴿تُنقِذُ﴾: الإنْقاذُ: التَّخليصُ من ورْطَة، وأيُّ ورْطةٍ أشَدُّ وطْئًا وعذابًا من النّار؟ كما في الآيةِ الَّتي معنا في قولِه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾، والنَّقْذُ: ما أنقَذْتَه، وفَرَسٌ نَقيذٌ: مأخوذٌ من قومٍ آخرينَ، كأنَّه أُنقِذَ منهم، وجمعُه: نَقائِذُ[7]، وأنقَذَه مِنْ فلانٍ؛ أي: نَجّاهُ وخلَّصه[8]، فمعنى ﴿تُنقِذُ﴾: تُخَلِّصُ وتمنعُ وتُنجي[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى مسَلّيًا نبيَّه ﷺ: أفمَنْ وجَبَ عليه عَذابُ النّار في سابقِ عِلمِ اللّه بسببِ إصراره على كفرِهِ حتّى النّهايةِ؛ أفتستطيعُ

تسجيلٌ على عَبَدةِ الطّاغوتِ ومتَّبعي خطواتِها بحرمانِ الهداية

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (كلم).
(2) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفّاظ: (كلم)، والمناويّ، التّوقيف، ص: 283.
(3) ابن سلّام، تفسير يحيى بن سلّام: 2/ 568، وابن جنّي، المحتسب: 2/ 189.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (كلم)، والنّوويّ، تهذيب الأسماء: 4/ 118.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 369.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 275.
(7) الرّاغب، المفردات: (نقذ).
(8) الجوهري، الصحاح: (نقذ).
(9) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 434.

أنتَ - أيُّها الرَّسولُ الكريم - على هدايتِه في الدُّنيا، وإنقاذِه مِن النّارِ يومَ القيامةِ؟[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

الغرض من الاستفهام، ومعنى الفاء ودلالتها في ﴿أَفَمَنْ﴾:

استِفهامٌ إنكاريٌّ أفادَ انتِفاءَ الطَّمعِ في هدايةِ مَن حَقَّتْ عليه كَلِمةُ العَذابِ

لَمّا أفادَ الحَصرُ في قَولِه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾، والحَصرانِ اللَّذانِ في قَولِه: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أنَّ مَن سِواهم - وهمُ المُشركونَ - لا بُشْرى لهم، ولم يَهدِهمُ اللّهُ، ولا ألبابَ لهم؛ لِعَدَمِ انتفاعِهم بعُقولِهم، وكان حاصِلُ ذلك أنَّ المُشركينَ مَحرومونَ مِن حُسنِ العاقبةِ بالنَّعيمِ الخالِدِ؛ لِحِرمانِهم مِنَ الطّاعةِ الَّتي هي سَبَبُه؛ فُرِّعَ على ذلك استِفهامٌ إنكاريٌّ مُفيدٌ التَّنبيهَ على انتِفاءِ الطَّمعِ في هدايةِ الفَريقِ الَّذي حَقَّتْ عليه كَلِمةُ العَذابِ، وهمُ الَّذين قُصِدَ إقصاؤُهم عن البُشرى والهدايةِ والانتفاعِ بعُقولِهم، بالقصرِ المَصوغةِ عليه صيغُ القصرِ الثَّلاثُ المتقدِّمةُ[2]. والفاءُ عاطفة على جملةٍ محذوفة تقديرها: أأنتَ مالكُ أمرِ النّاس، فمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العذاب فأنتَ تُنقذه[3]؟.

الغرض من حذف المعطوف عليه قبل الفاء:

إيجازُ الحذفِ لدلالةِ الكلامِ عليه بلاغةٌ قرآنيَّةٌ

حُذِفَ المعطوفُ قبل الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ إيجازًا واختصارًا لدلالة الكلام عليه، وهذا من بلاغة القرآن، وأصلُ الكلام: (أأنتَ مالكُ أمرِ النَّاسِ فمن حقَّ عليه كلمةُ العذابِ فأنتَ تنقذه؟)[4]، فالفاءُ عَطفت الجملةَ المذكورة على جملةٍ مستتبِعةٍ لها مقدَّرةٍ بعد الهمزةِ؛ ليتعلَّقَ الإنكارُ والنَّفيُ بمضمونيهما معًا، على معنى: لستَ أنتَ مالكَ أمرِهم، ولا أنتَ تقدرُ على الإنقاذ، بل المالكُ والقادرُ على الإنقاذِ هو اللّهُ ﷻ.

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 186، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 209.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 368.

(3) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 65.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 248، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 65.

معنى (مَن) والفاء في قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ﴾:

(مَن) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ إمّا أنْ تكونَ اسمًا موصولًا بمعنى الَّذي في محلّ رفعٍ بالابتداء، وخبَرُه محذوفٌ، والتَّقديرُ: تُنقِذُه مِن النّارِ، كما دلَّ عليه ما بَعْدَه، وتكونُ جُملةُ ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ تَذييلًا، أو مذكورٌ، وهو قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾، وتكونُ الفاءُ في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ مؤكِّدةً للفاءِ الأولى في قولِه: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ﴾، وأصلُ الكلامِ على اعتبار (مَنْ) موصولة: الَّذين تَحِقُّ عليهم كلمةُ العذابِ أنتَ لا تُنقِذُهم مِن النّار.

وإمّا أنْ تكونَ شرطيَّةً، بِناءً على أنَّ الفاءَ في قولِه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ يَحسُنُ أنْ تكونَ لِمَعنًى غيرِ معنَى التَّفريعِ المستفادِ مِن الَّتي قبْلَها، وإلّا كانت مُؤكِّدةً للأولى، وذلك يَنقُصُ معنًى مِن الآيةِ؛ أي: الفاءُ رابطةٌ لجوابِ الشَّرط، وأصلُ الكلامِ: أمَنْ تَحَقَّ عليه كلمةُ العذابِ في المستقبَلِ فأنت لا تُنقِذُه منه[1].

الـنَّـبـيُّ لا يستطيعُ هدايةَ مَن وجبتْ عليه كلمةُ العذابِ ولا إنقاذَه مِن النّارِ

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿حَقَّ﴾ دون (صَدَقَ):

آثرَ البيانُ الحكيم لفظ ﴿حَقَّ﴾ في الآية دون (صدق)؛ لِما تُشعرُ به مادةُ حقَّ من تقريرِ العدل ونفي الظُّلم، ولتضمّنها معنى الثَّباتِ والاستقرار، والتَّحقّقِ في الواقع، فلفظُ الحقّ أوسعُ دلالةً من لفظِ الصِّدق الَّذي هو ضدُّ الكذب، فالحقُّ: ضدُّ الباطل، والتَّعبيرُ بـ﴿حَقَّ﴾ دلّ على استحقاقِ هؤلاء حكمَ اللّه عليهم بالعذاب، ووجوبه وثبوته عليهم ثبوتًا لازمًا، وأنّه حُكمٌ صحيحٌ صادقٌ عدلٌ مطابقٌ لواقعهم ملازمٌ لِما تقتضيه الحكمة؛ إذ إنّ الحقّ يدلُّ في أصله على إحكامِ الشَّيء وثبوته وصحّته[2]، وعلى المطابقةِ والموافقة، ويُقال للفعلِ والقول بحسبِ ما يجبُ وبقدرِ ما يجب[3]، وفي الوقت الَّذي

مـن ثـبـتَ عليه حكمُ الله تعالى بـأنّـه مـن أهـلِ النّارِ لا يستطيعُ أحدٌ إنقاذه

(1) الصاوي، حاشية على الجلالين، ص: 1639، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 370.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حقّ).
(3) الراغب، المفردات: (حق).

يجب، ومن معانيه الصِّدقُ والعدلُ والثَّبات[1]، وهذا يتناسبُ مع سياقِ الآية في بيان أنّه لا أحدَ يستطيعُ هدايةَ وإنقاذَ من ثبتَ ووجب عليه حكم الله تعالى بأنّه من أهلِ النّار، فاللهُ تعالى وحده هو القادرُ على الإنقاذ لا غيرُه.

دلالة التّعبير بالماضي ﴿حَقَّ﴾:

المبالغةُ في تأكيدِ ثبوتِ حكمِ الله تعالى على من حقَّ عليه العذاب

آثرَ البيانُ القرآنيُّ في قوله: ﴿حَقَّ﴾ صيغةَ الماضي التي تدلّ على التَّحقُّق والثُّبوت؛ للمبالغة في تأكيدِ ثبوتِ حكم الله تعالى وتحقّقه ووقوعه على من حقّ عليه العذاب، وفي هذا التَّوكيد توكيدٌ للإنكار؛ إنكارِ هدايةِ الله لمنْ لم يردِ الله هدايته؛ عقابًا له على اختياره الكفرَ على الإيمان.

معنى (على) في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾:

ثبوتُ الانتقامِ على من وجبتْ عليه كلمةُ العذابِ لاستحقاقه لذلك

معنى حرف الجرّ (على) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾ الاستعلاءُ المجازيُّ المُكْنى به في الآيةِ عن الإلزامِ والوجوب، وتعديةُ الفعل ﴿حَقَّ﴾ بـ(على) للإشعارِ بالمضرّة؛ لأنّ من حقَّ عليه غيرُ من حقّ له، فاللّامُ للمنفعة، و(على) للمضرّة، والمعنى: صدقتْ ووجبتْ عليه كلمةُ العذاب؛ أي: انطبقتْ وكانت أحواله موجِبةً للانتقامِ منه[2].

الغرض من تقديم الجارّ والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾ على الفاعل ﴿كَلِمَةُ﴾:

لفتُ الانتباهِ إلى اختصاصِ عدمِ إنقاذِ من ثبتَ في علمِ الله أنّه من أهلِ النّار

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْهِ﴾ على الفاعلِ ﴿كَلِمَةُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ اختصاصَ الحكم به؛ أي: عدمَ قدرةِ النَّبيّ ﷺ على هدايةِ وإنقاذِ من ثبتَ في علمِ اللّه أنّه من أهلِ النّار، كما أفادَ التَّقديمُ لفتَ الانتباهِ إلى المقدَّم ﴿عَلَيْهِ﴾ والتَّشويقَ لمعرفة المؤخَّر؛ وهو ما حقَّ عليه.

(1) الزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حقق).
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 417.

فائدة الإطناب بلفظ ﴿كَلِمَةُ﴾:

كلمةُ اللهِ لا تتبدّلُ ولا تتغيّرُ فيمن حُكمَ عليه أنّه من أهلِ النّار

أطنبَ البيانُ الحكيمُ بذكرِ لفظ ﴿كَلِمَةُ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾، ولم يقلْ: (حقّ عليه العذاب)؛ وذلك لِلإشارةِ إلى أنَّ ذلك أمْرُ اللهِ ووَعيدُه[1]، وأنّ حكمه عليهم بالنّار أمرٌ مقضيٌّ به، مقطوعٌ فيه، ثابتٌ منذ الأزل، فكلمةُ العذاب هي كلامُ الله المقتضي كونَ الكافرِ في العذاب، وكلمةُ اللهِ لا تتبدّلُ ولا تتغيّرُ، فإصدارُ حكمِ الله تعالى على من حقّ عليه أنْ يكونَ من أهلِ النّار هو حكمٌ ثابتٌ، ولا يمكنُ لأحدٍ أنْ ينقذَ من حُكم عليه أنّه من أهلِ النّار ولو كانَ رسولَ الله ﷺ.

الغرض من الإضافة في قوله: ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾:

الكلمةُ التي حقّتْ على أهلِ النّار هي التي يستتبعُها العذابُ لا الرَّحمة

إضافةُ ﴿كَلِمَةُ﴾ إلى ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ إضافةٌ بيانيّةٌ؛ أي: الكلمةُ التي يستتبعها العذابُ لا الرَّحمة، و﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ كنايةٌ عمّا ورد في القرآن الكريم في عدّة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: 119].

الغرض من الاستفهام في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ وتكرّره:

استفهامٌ يؤكّدُ إنكارَ إنقاذِ من قَدّرَ اللهُ عليهم دخولَ النّار

الاستفهامُ بالهمز في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ إنكاريٌّ، مسلّطٌ على الفاعل (أنت)، ولكن لمّا كان الخطابُ موجّهًا للنَّبيّ ﷺ؛ كان إنكارُ الفاعلِ في الآية كنايةً إمّا عن أيّ فاعلٍ ممّن عداه، وإمّا عن إنكارِ الفعل، وهو الإنقاذُ من النّار نفسه، لا أنّ الإنقاذَ واقعٌ من غيره ﷺ؛ لأنّ اللهَ قدّرَ دخولَ أهلِ النّارِ النّارَ؛ جزاءً وفاقًا على كفرهم ومعاصيهم[2]، وكُرّرتِ الهمزةُ لمّا طالَ الكلام؛ للاهتمام بشأنِ هذا الاستفهام الإنكاريِّ[3]، ولتأكيدِ الإنكار والاستبعاد[4]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 371.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 418.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 369.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 40، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 65.

ولتهويلِ الأمرِ وتفخيمه؛ للنَّهي عن تعليقِ الهمِّ بهم لِما عنده ﷻ من جبلَّةِ العطفِ والرِّقَّة على عبادِ اللّه[1].

معنى الفاء ودلالتها في ﴿أَفَأَنتَ﴾:

الفاءُ في قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ إمّا أنْ تكونَ عاطفةً، فهي مؤكِّدةٌ للفاءِ الأولى في قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ﴾، على اعتبارِ (مَن) موصولةً، والمعنى: الَّذينَ تَحِقُّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ العَذابِ أنْتَ لا تُنْقِذُهُمْ مِنَ النّارِ.

الفاءُ بين عاطفةٍ مؤكّدةٍ أو رابطةٍ لجوابِ الشَّرط

وإمّا أنْ تكونَ رابطةً لجوابِ الشَّرط، على اعتبار (مَن) شرطيَّةً، والمعنى: أمَنْ تَحِقَّ عليه كلمةُ العذابِ في المستقبَلِ فأنت لا تُنقِذُه منه[2].

الغرض من التَّعبير بضمير الخطاب (أنت):

الخِطابُ في قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ لِلنَّبيِّ ﷺ تسليةً له وتَهوينًا عليه بعضَ حرصِه على تَكرير دعوَتِهم إلى الإسلام، وحُزنَه على إعراضِهم وضَلالِهم، وإلّا فلم يَكُنِ النَّبيُّ ﷺ بالَّذي يَظُنُّ أنَّه يُنقِذُهم مِن وعيدِ اللّهِ؛ ولذلك اجتُلِبَ فِعلُ الإنقاذِ هنا؛ تَشبيهًا لِحالِ النَّبيِّ ﷺ في حِرصِه على هَدْيِهم وبُلوغِ جهدِه في إقناعِهم بتَصديقِ دَعوَتِه، وحالِهم في انغماسِهم في موجِباتِ وعيدِهم؛ بحالِ مَن يُحاوِلُ إنقاذَ ساقِطٍ في النّارِ قد أحاطَتِ النّارُ بجَوانِبِه استِحقاقًا قَضى به مَن لا يُرَدُّ مُرادُه، فحالُهم تُشبِهُ حالَ وُقوعِهم في النّارِ مِنَ الآنَ؛ لِتَحقُّقِ وُقوعِه[3].

خطابٌ يحملُ تسليةً للنَّبيّ ﷺ وتَهوينًا عليه بسببِ إعراضِهم

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿تُنقِذُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أتى بالمضارع الَّذي يدلُّ على الحدوث والتَّجدُّدِ والاستمرار؛ لإفادةِ الإنكارِ المتجدّد والمستمرّ لمحاولة إنقاذِ من سبقَ في علمِ الله أنّه من أهل النّار،

إنكارٌ متجدّدٌ ومستمرّ لمحاولةِ إنقاذِ من سبقَ في علمِ الله أنّه من أهلِ النّار

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 481.
(2) الصاوي، حاشية على الجلالين، ص: 1639، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 369 - 370.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 371.

وفيه تصويرٌ أيضًا لاجتهادِ النَّبيّ ﷺ ومبالغته في تحصيلِ هدايتهم من خلالِ دعوته المتكرّرة لهم إلى الإيمان باللّهِ بحالِ من يريد أنْ يخلّصهم من النّار.

الغرض من تَقديم المُسنَدِ إليه في قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾:

إنكارُ إنقاذ مَن تَحقَّقَ الوَعيدُ عليهم من النّار

تَقديمُ المُسنَدِ إليه على الخَبَرِ الفِعليِّ في قَولِه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ يفيدُ تقويةَ الحُكم؛ وهو إنكارُ أنْ يَكونَ النَّبيُّ ﷺ بتَكريرِ دَعوَتِه لهم إلى الإيمان يُخَلِّصُهم مِن تَحقُّقِ الوَعيدِ عليهم، أو يُحصِّلُ لهمُ الهِدايةَ إذا لم يُقَدِّرْها اللّهُ لهم[1].

الغرض من التَّعبير بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾:

في الموصوليَّةِ تَشهيرٌ بحالِهم وإظهارٌ لِخِسَّةِ مَنازلِهم في تحقُّقِ وقوعهم في النّار

﴿مَن﴾ اسم موصول بمعنى الذين، وهم مَن حَقَّ عليهم كَلِمةُ العَذاب؛ لأنَّ كَلِمةَ العَذاب هي أنْ يَكونوا مِن أهلِ النّار، فوَقَعَ إظهارٌ في مَقامِ الإضمار، والأصلُ: (أفأنتَ تُنقِذُه مِنَ النّار؟)، وفائدةُ هذا الإظهارِ تَهويلُ حالَتِهم؛ لِما في الصِّلةِ مِن حَرفِ الظَّرفيَّةِ المُصوِّرِ لِحالةِ إحاطةِ النّارِ بهم، مع ما فيه مِن تَشهيرٍ بحالِهم، وإظهارٍ لِخِسَّةِ مَنازلِهم؛ أيْ: أفأنتَ تُريدُ إنقاذَهم مِنَ الوُقوعِ في النّارِ وهمُ الآنَ في النّارِ؟ لأنَّ مَصيرَهم مُحقَّقٌ إلى النّارِ، فشَبَّهَ تَحقُّقَ الوُقوعِ في المُستَقبَلِ بتَحقُّقِه في الحالِ[2].

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتها ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾:

النّارُ تحيطُ بالذي حقَّ عليه كلمةُ العذابِ إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروف

﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ حرفُ جرّ يفيدُ الظَّرفيَّةَ، وقد عبّر به البيانُ القرآنيُّ؛ لتهويلِ حالتهم، وللتّنبيهِ على أنّ هذا الَّذي حقَّ عليه كلمةُ العذاب متمكِّنٌ فيها شديدُ الانغماسِ في طبقاتها، بحيث إنّها قد أحاطتْ به من كلّ جانبٍ إحاطةَ الظَّرفِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 371.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 193، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 23/ 248، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 370 - 371.

بالمظروف، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٤﴾ [العنكبوت: 54][1]، ففيه تصويرٌ لحالةِ تطويقِ النّار لهم، وإحاطتِها بهم، وإطباقِها عليهم.

بلاغة التَّعبير بالمجاز المرسل في الآية:

في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ مجازٌ مرسل، حيث أطلقَ المسبَّبَ وأرادَ السَّببَ؛ لأنّ الإدخالَ في النّارِ مسبَّبٌ عن الضَّلالِ وتركِ الهدى، كأنّه قال: أأنتَ تهدي من أضلّه اللّهُ، وجعلَ له النّار بسببِ ضلالِه[2]؟.

الإدخالُ في النّار مسبَّبٌ عن الضَّلالِ وتركِ الهدى

بلاغة التَّعبير بالاستعارة في قوله: ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾:

في تنزيلِ المتوقَّع منزلةَ الواقعِ استعارةٌ في زمنِ الفعل؛ لأنّ دخولَ النّار لم يقعْ بعدُ، وسوفَ يقعُ يومَ القيامة، فشبّهَ استحقاقَهم العذابَ بالدُّخولِ إلى النّار؛ أي: عبّر عنه كما لو كان واقعًا، والتَّقدير: أفأنتَ تريد إنقاذَهم من الوقوعِ في النّار وهم الآن فيها؟! فنُزِّلَ المعدومُ منزلةَ الموجود، وأُعطيَ الكامنُ حكمَ البائن؛ لتحقُّقِ الوقوعِ لا محالة، وفي تنزيلِ محاولاتِ صاحبِ الرِّسالة ﷺ هدايةَ قومِه وتحمّلِه المشاقّ في سبيلها منزلةَ من يحاولُ إخراجهم فِعلًا من النّارِ بعد انكبابهم على وجوههم فيها استعارةٌ في معنى الفعل[3].

محاولاتُ النَّبيِّ ﷺ هدايةَ قومه تشبهُ مَن يحاولُ إخراجَ مَن وقعَ فِعلًا في النّار

بلاغة الإطناب في وضع الظّاهر موضعَ المضمر في قوله: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾:

أطنبَ البيانُ الإلهيُّ بذكر المُظهَر موضعَ المضمَر، في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾، ولم يقلْ: (أفأنت تنقذه) رغم أنّه معلومٌ أنّ العذابَ يومَ القيامة في النّار؛ "لمزيدِ تشديدِ الإنكار والاستبعاد،

في التَّنبيهِ على أنّ المحكومَ عليه بالعذابِ بمنزلةِ الواقعِ في النّار تخويفٌ وتهويل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 481.
(2) الصاوي، حاشية على الجلالين، ص: 1639.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 418، والدسم، سورة الزمر دراسة بلاغية تحليلية، ص: 130.

والتَّنبيهِ على أنّ المحكومَ عليه بالعذابِ بمنزلةِ الواقعِ في النّار"[1]، فيتأكّد في الآية معنى الاستعارة، وأنّه مُثِّل حالهُ ﷺ في المبالغةِ في تحصيلِ هدايتهم، والاجتهادِ في دعوتهم إلى الإيمانِ بحالِ من يريدُ أنْ يُنقذَ من هو ساقطٌ في النّار، ولتهويلِ حالتهم؛ لِما في الصِّلَةِ مِنْ حَرْفِ الظَّرْفيَّةِ المُصَوِّرِ لِحالَةِ إحاطَةِ النّارِ بِهِمْ[2]، وكذلك لِما في الإظهارِ من تخويفٍ وترهيبٍ للكافرين؛ لأنّ النّارَ أشدُّ وأقوى وأبشعُ وسائلِ العذاب.

بلاغةُ ترتيبِ الآية ونظمها:

في نظمِ الآيةِ من الرَّونقِ والهولِ والإرهابِ ما لا يقدرُ البشرُ على مثله

كان أصلُ الكلام: (أأنت تنقذ من حقّ عليه العذاب؟)، ولكنّه قال: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾، فقدّمَ المفعولَ وجعله عمدةَ الكلام؛ ليقرعَ السَّمعَ ويترقّبَ الخبرَ عنه، ثمَّ حذفَ خبره؛ ليكونَ أهولَ، فتذهبَ النَّفسُ فيه كلَّ مذهب، ثمَّ أنكرَ أنْ يكونَ أعلى الخلق ينقذه، فغيرُه من بابِ الأولى، فصارَ في الكلامُ بذلك من الرَّونقِ والبهجةِ والهولِ والإرهابِ ما لا يقدرُ البشرُ على مثله[3].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 249.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 371.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 481.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»